لقى مفهوم الشخصية القومية اهتماما كبيرا من العلماء السلوكيين . لم يحظ به أى مفهوم آخر فى قاموس علم الاجتماع . فالانثربولوجيا وعلم النفس والسياسة والاقتصاد والفن والآداب كلها علوم اهتمت بالشخصية القومية . واستخدمت هذا المفهوم باعتباره متغيرا هاما عند تحليل كثير من المشكلات الحالية والمستمرة . بيد أن موضوع الشخصية القومية ليست جديدا . ولا بالمعاصرة . بل هو قديم قدم الفكر الانسانى جديد جدة العلوم الاجتماعية . فقد هيرودوت وهناك أرها فكرية عن الخصائص السلوكية القومية التى ميز شعبا عن آخر . وكل هذه الأعمال كانت نتيجة جهود الرحالة أو المفكرين . ولكن الفضل الأكبر يعود لفرويد فى احتلال هذا الموضوع مكانة جديدة فى الدراسات العلمية عند نشر كتاب القلق الحضارى عام ١٨٩٥ .

وحتى نفهم المكانة الحالية لأبحاث الشخصية عامة . وأبحاث الشخصية القومية خاصة علينا أن نرجع قليلا الى الوراء حتى فرويد صاحب الفضل . اذ كان اكتشاف فرويد للشخصية الديناميكية . أحد مساهمات فرويد العظيمة فى عالم الانسان والتى أدت الى تطور هذه العلوم .

وقد ظهر مفهوم الشخصية نتيجة قيامه بالملاحظة الاكلينيكية للمرضى من أجل فهم الانسان المريض واعادة توافقه مع نفسه مع الآخرين وليس نتيجة دراسة اجتماعية للجماعة والتفاعل فيها . وقد حاول فرويد فى هذه الدراسات أن يقيم على نفس الشخصية . بيد أن دراساته قد تعثرت لاهتمامه بالبناء العضوى للفرد وتفسير جميع أفعال الفرد بدوافع بيولوجية ولكن العيب الأكبر فى هذه الدراسات يتمثل فى افتقادها الى فروض نظرية توجه البحث . وكان فرويد فى دراساته بالشخصية مهتما بشخصية الفرد كنسق خاص مميز تكون من مادة بيولوجية وخبرة نفس . ومجرد من كل طابع اجتماعى يمكن أن يستقرأ من دراسة المجتمعات أو الطبقات الاجتماعية .

ولكن بناء الشخصية القومية لا يقوم على فهم فرويد للشخصية بأنها طاقة تحفز الفرد . ولا يعبر هذا البناء عن الشخصية المميزة الكاملة الذاتية لدى الفرد بل هو بناء يشترك فيه أغلب أعضاء الجماعات . ويعبر عن تنميط الشخصية أى مجموعة الخصائص السلوكية الغالبة بين أعضاء الجماعة . والتى تظهر نتيجة التوحد مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى الجماعة . التوافق معها (١) .

1- Fromm, Erick: Social charact erina Maxicanvicaan vilage by Ericik fromm and Micheal Maccoby New jessey holl I970 . P. I6.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهذا التغير فى مفهوم الشخصية الفرويدية التى تحدد معالمها فى سنوات الطفولة الأولى • والتى تتسم بالجمود • وتحددها قوى نفسية بيولوجية • يعنى أن مفهوم الشخصية الفرويدية لم يكتب له الاستمرار عند اتباع فرويد • اذ نجد أن المكونات الضرورية فى تكوين الشخصية الاجتماعية الطابع القوى) تغاير فى معناها المكونات الشخصية الفرويدية • بل أن المكونات التى أضافها فرويد تضيف رؤية جديدة • لم تكن موجودة عند فرويد • بل تكشف هذه المكونات عن احتمال حدوث تغيرات فى الشخصية سواء أثناء تطورها نتيجة اتساع علاقة الشخص أو نتيجة التغيرات الاجتماعية التى تطرأ على البناء الاجتماعى •

فالشخصية ليست جامدة ثابتة • تتصف بالمرونة والديناميكية بتأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية • كما أنها ليست حرة لأن تشكل نفسها كما تريد بيولوجية تتضمن عنصرا نفسيا • فقد أثبتت التجارب الانسانية أن الشخصية تعكس النظم الاجتماعية السائدة • وتتأثر بها • وتؤثر على أدائها لوظائفها ولقد أصبح أمرا مرفوضا تماما أن تعتبر الشخصية عاملا مستقلا فى الحياة • اذ تدل هذه النظرة على الجهل بكل الظروف الاجتماعية الخارجية التى قد تحددها وتشكلها • وأيضا قد يعنى تجاهل تغير هذه الشخصية • وجبروتها فى المكان والزمان (١) •

وقد زاد الاهتمام بالشخصية القومية فى السنوات الأخيرة لأسباب سياسية وعسكرية وتنموية من جهة وأسباب أكاديمية من جهة أخرى • فهذا البحث يؤكد ارتباط النظرية والبحث فى الأنثربولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع • وتلاحم هذه العلوم • هذا من جهة ومن جهة أخرى يؤكد بحث الشخصية القومية انعكاس التأثيرات الثقافية والاجتماعية على شخصية الفرد • كما يدرس مدى التناسق والتفكك شخصية المواطنين فى مجتمعات معينة • وأيضا يحدد العوامل العلمية التى تفسر اضطراد السلوك (٢) •

ويعنى القبول المتزايد لمفاهيم وآراء فرويد فى الدراسات السلوكية وظهور المناهج والاختبارات الاسقاطية عند دراسة الشخصية والتأكيد على دراسة التكيف الاجتماعى •

أما الأسباب السياسة والعسكرية فعديدة • أهمها دراسة الخصائص السلوكية للشعوب قبل غزوها أو تدعيم الحرب الباردة على الأعداء من أجل التفوق بسلوكهم • والتأثير عليهم مثل الدراسات التى أجريت عن الشخصية اليابانية أو الروسية • أو دراسة

2- Keine .
3- Inkles Alex: socialchange and social character in Personality and social agotem.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشخصية الاجتماعية للمجتمع الذى ينتمى اليه الباحث لمعرفة الخصائص السلوكية السليمة لأحداث عمليات تغيير السلوك •

وقد ظهر مفهوم الشخصية الأول مرة داخل الانثربولوجيا الثقافية كاتجاه يحاول أن يدرس الشخصية داخل الثقافة • أو من خلال الثقافة • أى دراسة الشعوب فى بيئتهم الاجتماعية • وكانت بداية الاهتمام بهذه الدراسات اتجاه الانثربولوجيين الأمريكيين — بتأثير من حكومتهم — الى دراسة الشخصية والثقافة اليابانية •

وكانت دراسة جورر ١٩٤٢ • ودراسة أول دراستين حاولتا وضع فهم وصف الشخصية اليابانية وربطها بالنظم الثقافية • وكيف ينشئ الأطفال تنشئة اجتماعية • كذلك بدأ الانثربولوجيون دراسة الشخصية القومية الامريكية لمعرفة أوجه القصور فى الشخصية الامريكية التى يمكن التغلب عليها وتلافيها •

ومن المفيد أن نقول أن دراسة روث بندكيت عن زهرة الأقحوان والسيف • وهى أول دراسة أجريت تحت اشراف الحكومة الامريكية — تعد أول دراسة غربية حاول القبول عن الشخصية اليابانية ويرى جورر أن بداية الاهتمام بدراسة الشخصية القومية كان نشر كتاب أنماط الثقافة الذى ألفته روث بندكيت عام ١٩٣٥ (١) • وقد أكدت بندكيت أن التماسك النفسى بين الأنظمة المختلفة التى تكون المجتمع • هو الأساس لاعادة تفسير الخصائص القومية ووضعت لنا فى هذا الكتاب أسسا جديدة وجامدة للدراسات العقلية للشخصية القومية •

ورغم أن البدايات الأولى فى دراسة الشخصية القومية تكمن فى أبحاث بندكيت وجورر • فهناك انتقادات هامة توجه الى أصحاب هذه الدراسات : —

(١) فقلبها فى مراعاة التمايز الحاد بين أبناء القوميات الكبيرة وتركيزها على وجود النمط الشائع • ولم يحاولا أن يثبتا التباين الواضح بين بعض أفراد المجتمع

I - Gorer Geoffrey. The concert of Notional character in Persona lity in natuer, Culture and society edited by clyde Kluchoon and . Henery Murray.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بين هذا النمط العام ، هذا ومن جهة ، ومن جهة أخرى يعاب على هذه الدراسات أيضا اللجوء الى لغة الوصف والمصطلحات الفنية التي تقوم على الوصف مما لا يسمح باجراء قياس دقيق ، وعدم اللجوء الى القياس الكمي لدراسة الظواهر العامة السائدة (١) .

(٢) ينتقد نوريك دراسة بندكت ، ويرى أن دراستها تعتبر من صورة استاتيكية للأنماط الأساسية التي تعبر عن وقت طويل معين ، كما أنها تتجاهل الفروق بين الطبقات الاجتماعية والتغيرات التي حدثت أثناء سير التاريخ .

(٣) وتعتقد هذه الدراسات دراسة للثقافة عن بعد ومن ثم فهي دراسات تفتقد اليقين العلمي . وقد أجريت دراسة عن القيم والاتجاهات في اليابان بعد الحرب وصلت الى نتائج تتناقض مع نتائج بندكت اذا ما طبقت على الريف الياباني ، اذ تجاهلت هذه الدراسة الفروق الاقليمية والفروق الطبقية بين اتجاهات اليابانيين ، نتيجة لقصور الدراسة التجريبية (٢) .

ورغم هذه الانتقادات التي وجهت الى دراسات بندكت وجورر ، فانها مهدا الطريق الى قيام دراسات علمية حول الشخصية القومية . ويرى جورر أن دراسات الشخصية القومية انما هو محاولة تفسيرات علمية للخصائص القومية بدلا من التفسيرات الفائقة أو الفردية من الفروق بين الأفراد (٣) .

ورغم أن موضوع الشخصية ظهر في البداية عند علماء النفس ، فان جورر يبين أن محور اهتمام علماء النفس يختلف من محور اهتمام الانثربولوجيين ، فالانثربولوجيون يدرسون الشخصية من خلال الثقافة ، أي يدرسون الناس أثناء تفاعلهم في البيئة الاجتماعية ، ولا يدرسون الفرد المنعزل . وهم يدرسون الشخصية القومية لهؤلاء الناس في مجتمع مستقر . وشخصية الكبار وحدها هي التي تحدد السلوك ودوامه ، أي أن الكبار لا الصغار هم الذين يعكسون الطابع القومي للشخصية . ولما كانت الشخصية القومية تفهم في المجتمع المستقر ، فانه يسهل دراستها في المجتمع الصغير الحجم ، ويصعب دراستها في المجتمع الكبير الحجم ، ولهذا

1- Inkles Alex: National character and Modern Political systems In psyological Ant ropology edited by Francis Hus. Cambridge schenleman publishing 1973. P. 213.

2- Norbech E culture and perronality By Educard Nobech and Gorge de vos. In psyehological Anthropalogy opcit P. 51.

3- Goorer Geoffery . The concept of National character opcit.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تفضل أية دراسة تبغي الشخصية القومية السوية أو غيرها في المجتمعات الكبيرة باللامتجانسة والمجتمعات المتغيرة .

وقد عرف جورر الشخصية القومية بأنها مجموعة الصفات الشائعة والسمات المميزة لجماعة من الناس مثل الشجاعة والاخلاص والقدرة والمهارة على العمل وحب العمل والكرم والسماحة والبخل والكسل — والتي تظهر وسط ثقافي معين . وتهدف دراسة الشخصية القومية عنده الى محاولة عزل ووصف الدوافع المشتركة بين أعضاء الجماعة التي تعبر عنها العادات والثقافة المشتركة في دوافع الجماعات الأخرى . ولا تلاحظ هذه الدوافع المشتركة أبدا ملاحظة مباشرة في الظروف الطبيعية . ولكنها تدرك من تحليل النتائج الفعلية للسلوك المتتابع . وبناء الشخصية القومية هو بناء العناصر الثقافية التي يشترك فيها أعضاء الثقافة الواحدة . ويعبر عن التنظيمات الثانوية والجوانب الثقافية السائدة في المجتمع مثل الفن والأساطير والأدب الشعبي .

ويدل مفهوم الشخصية القومية دائما على بناء الدوافع والسمات والارتباط بينهما ولا يوجد دافع مميز لمجتمع واحد . ولكن يوجد بناء أو ارتباط من الدوافع . ورغم أن الشخصية القومية هي البناء المميز لهذه الدوافع . فاننا نجد التفاوت واضحا في الشخصية القومية في المجتمعات التي توجد في منطقة ثقافية واضحا .

ومن ايد هذا الاتجاه في دراسة الشخصية القومية بين الانثربولوجيين . مرجريت ميد . وترى ميد أن دراسة الشخصية القومية تحاول أن تتبع الطريقة التي يتوحد بها السلوك الثقافي في البناء النفسي الداخلي لأعضاء الثقافة . كما تحاول أن تربط بين النظرية الثقافية والنظرية النفسية في نظرية جديدة . تفسر كيف تتوحد الكائنات الانسانية بالثقافة . وكيف تتعلمها . وكيف تعايشها . وقد قدمت لنا ميد أساسا نظريا للشخصية القومية بنيت فيه أن كل شخص في الدولة يمكن بالضرورة الشخصية القومية . وهي تعرف الشخصية القومية بأنها تعني تعريف الاطراد في الشخصية بين أعضاء جماعة قومية . يرتبطون بعامل الوطنية المشتركة .

كما يتبين أن ثمة أنماط اضافية تدخل في اختيار الثقافة القومية . تستند على مدى انفتاح المجتمع الذي ندرسه والبناء السياسي والطبقي الخاص بهذا المجتمع . وهي مثل جورر ترى أن دراسة ثقافات المدن الصغيرة . مثال للصورة المثالية لدراسة الثقافة والشخصية . ووسيلتنا في ذلك أن نلجأ الى تحليل أساليب تربية الأطفال كمدخل لفهم قيم المجتمع . كما يمكن أن تستخدم هذه الأساليب كجانب أساسي لدراسة طريقة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تكوين الشخصيـــــة .

وترى ميد أن دراسات الشخصية القومية تضع الافتراضات التاليـــة :-

أولا - لاتوجد فروق محسوسة بين السلالات والاجناس البشرية . تتداخل مع عمليـــة تعلم الأشكال الثقافية وتسهلها . فالأشكال الثقافية لاترتبط بأية قوميـــة أكيدة مع الخصائص السلالية .

ثانيا - هناك فروق فردية واسعة بين الشعوب يجب أن توضع في الحسبان . وتتحقق هذه الفروق بدرجات متباينة .

ثالثا - للثقافات جوانبها التنظيمية التي قد تشير الى خصائص بيولوجية معينـــة لشخصيات الناس . بشكل القدرة على السلوك الرمزي .

رابعا - ينظر الى الثقافات الانسانية كأنساق ذات أنماط تاريخية . تحقق الاتصال بين الأفراد بعضها وبعض . وبين الافراد والبيئة الانسانية والتي تختـــتن وتعطي معنى للطفل والمهاجر .

خامسا - تحمل الثقافات الانسانية خصائص كليـــة .

سادسا - لثقافة كل مجتمع طابعها المميز .

سابعا - علينا أن نتوقع تغير الثقافة . بتأثير احداث معينة من الداخل والخـــارج

ثامنا - تنقل الأجيال المتتابعة الميراث الثقافي بطريقة تجعل كل شخص من طفولته حتى كهولته يساهم في تخليد الأشكال الثقافية واعادة تفسيرها .

وترى ميد أنه من الصواب أن نصف دراسات الشخصية القومية بأنها دراسة تتبـــع من الثقافة القومية . ولكنها في الوقت نفسه فرع من الانثربولوجيا تستنتج من بحايثـــة التجارب ومعرفة مجموعة نتائج الأبحاث الميدانية " في الثقافة الشخصية ولكنهـــا تستخدم نتائج جديدة تختلف عن نتائج الأبحاث السابقة . وبحث الشخصية القوميـــة يعبر عن تطور حديث في البحث الانثربولوجي يدور حول مشكلات الشخصية الثقافيـــة . يلجأ اليه الانثربولوجيون . حينما تتضمن تصوراتهم افتراضات عن البناء النفســـي الداخلي . كما تركز هذه الدراسات اهتماماتها مثل كل أبحاث الثقافة والشخصيـــة

I- Mead Marget. National characiter. In Anthropology to Day. edited By. Krober. chicaqe Pres. I953. PP 642. 662.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حول طريقة توحد الكائنات البشرية للثقافة التي ينشئون فيها أو يهاجرون اليهـــا (١)
ورغم أن ميد تأثرت استفادة ببحث الشخصية القومية من قضايا تثاقف والشخصية
فان هذا البحث من الناحية التاريخية تتميز باتجاهين : ـ

الاتجاه الأول : اختيار مجموعة أشخاص ذات تقاليد اجتماعية مشتركة ، تدرس ثقافتهم باعتبارهم أعضاء جماعة سياسية ذات سيادة .

والاتجاه الثاني : يؤدي تعذر دراسة المجتمع باستخدام الملاحظة الميدانية المباشرة الى استخدام أقل عدد من طرق البحث الأخـــرى .

وهي ترى أن الشخصية القومية تدل على الوحدات السياسية المعاصرة ونحن ندرسها لأن الدولة في عالم اليوم لها دلالة سياسية هامة . ولأن أفرادها يقومون بنشاط كبير في المجالين المحلي والعالمي ، وتحكمهم في ذلك قوى قومية باعتبارها أفضل بناء يمكن أن نتتبع من خلاله الارتباطات بين الأشكال السياسية وتكوين شخصية الأفـــراد (٢)
فالمواطنون في كل دولة من الدول الحديثة يتعرضون لأنماط تنظيمية لها سمة الأطراد بيد أن هذه الأنماط تختلف من دولة لأخرى . ولذا فان دراسة الشخصية القومية تضع في الاعتبار نظام الحكم الذي تتجسم آثاره على الشخصية القومية المشتركة لكل أعضـــاء المجتمع عندما يشاركون في الأنشطة المختلفة . سواء على المستوى المحلي أو الاقليمي أو العالمي .

ورغم أن ميد أسهمت في توضيح مفهوم الشخصية ، وبينت أن هذا المفهوم مفهـــوم اجتماعي له معنى سياسي ، فانها لم تعتمد في دراساتها للشخصية على التحليـــل التاريخي ، بل اعتمدت أساسا على الملاحظة ، وطالبت الأفراد وتحاول أن تعرف كيف تتكامل العناصر الفطرية والأنماط العامة والفردية للكائن البشري مع التقاليد الاجتماعية المشتركة بطريقة معينة ، وتكشف اختلافات محتملة في سلوك كل أعضاء الثقافة ، وبهذا المعنى تصبح الثقافة تجريد ، يستخدمها الانثربولوجيون عندما تحاول تصوراتهم ان تتضمن اختلافات عن البناء النفســـي .

هذا الاهتمام نفسه بالشخصية القومية كان موجودا عند عدد آخر من الانثربولوجيين ويرى كليد كلاهون أن الشخصية القومية محاولة لتفسير تكامل أنماط الثقافة ، وتعـــبير عن نماذج السلوك السائدة ، وانعكاس أسلوب الحياة ، والنظرة الى العالم عنـــد

---

(١) Mead. I bid P 642. 644.
(٢) Mead. I bid P 660

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أفراد المجتمع وهي تميز نوعين من قيم ، أو جملة من جملة أو طائفتين جملة في فترة زمانية محددة . وهو يساير في تصوره للبنية القيمية ، الباحث الانثربولوجي جوسو ، فيمثل أنماط الانثربولوجيين بعدد البنية القيمية للمجتمع المستقر ، ولا يكتفي الأنماط الفلاحين والعمال ، والبنية القيمية المحددة للجماعات المتحركة والصاعدة ، وفي المجتمعات المتغيرة ، كما تميد المتغيرات البنيوية القيمية المحددة الجماعات ذات التنظيمات المغلقة ، وهي تكاد تختفي عند أولئك الذين يحتلون مكانة في أعلى السلم الاجتماعي (١) .

ولما كان اهتمام الانثربولوجيين ينحصر في دراسة المجتمعات الصغيرة الحجم ، والقليلة العدد ، والصغيرة المساحة ، فإن اهتمامهم تخصصيا في دراسة البنية القيمية السائدة في المجتمعات الكبيرة المعقدة ، بل إن علماء الانثربولوجيين قد فشلوا في تقديم تفسير ملائم للأعداد الكبيرة من المواطنين .

وقد حاول بعض علماء الاجتماع أن يحذوا حذو الانثربولوجيين ، وأفادوا منهجهم في دراسة البنية القيمية ، وكانوا مجمعين على أن المجتمع الكبير المعقد يحتمل داخله أنماطا قيمية كما هو الحال في المجتمع . وقد تأثر الباحث باستخدام الباحثين في المجتمع الكبير المعقد ، فمال الاتجاه الاستطلاعي إلى أن البنية القيمية تختلف كما في حدودها وتعقيدها ، وعلى أن نقف في الميدان هذا الاختلاف ، وذلك بالكشف عن البنية القيمية .

في الحقيقة ، فإن علماء الاجتماع لم يكن بمعزل عن التيار الفكري الذي اتجه نحو دراسة القيم في المجتمعات المتحركة ، فكان من الطبيعي أن يتأثر علماء الاجتماع بما يحدث في الميدان الذي يعيشون فيه ، لذا فإن علماء الاجتماع الذين اهتموا بالقيم ، ركزوا في كتاباتهم على الفئات من السياسة الاجتماعية ، من أمثال المسيحيين ، بحيث أن علماء الاجتماع لم يغفلوا دراسة القيم في البنية كما هو الحال عند الأنثربولوجيين .

ولكن في أي الحالتين ما في النوع ، حاول الدراسة تناول الباحثين من الاتجاهين ، فاليوم من الدراسة واحد .

1- Kluck hoon dly dos culture and behavior. Glencoe F. P. 1962.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد تشتت موقف الاجتماعيين أزاء الشخصية القومية الى ثلاثة فرق • الفريق الأول رفض فكرة الشخصية القومية • كموضوع للدراسة في علم الاجتماع • وعلى رأس هؤلاء ماكس فيبر ـ الذي يشترك مع ماركس وجون ديوي برفضه للاتجاه الهيجلي • الذي اعتبره الشخصية القومية تصورا عقليا يتعين رفضه • مثلما رفض تصور روح الشعوب •

كذلك أنكر بندكيس فائدة دراسة الشخصية القومية • ووجه نقدا شديدا الى الدراسات الانثربولوجيه التي تخضع اتجاهاتها للتحليل • والفريق الثاني • قبل موضوع الشخصية القومية • كموضوع للدراسة • ولكنهم عدلوا فيه بما يتوافق مع موضوع ومنهج علم الاجتماع • وبما يتلاءم مع ظروف المجتمعات الكبيرة • وقد بدأ هذا الاتجاه بآراء موريس جنزبرج في الشخصية القومية • ويشايعه حتى الآن كثيرون • أما الفريق الثالث فقد سايرالاتجاه الثاني الى حد ما سارسا في ذلك لعبة أغلب الاجتماعيين فهو لم ينكر موضوع الشخصية القومية كموضوع كبير جدير بالبحث • ولكن أستبدل بمفهوم الشخصية القومية كما توازنت عند الانثربولوجيين مفهوم بناء الشخصية المتوالية أو مفهوم الشخصية الاجتماعية • ولكن يصبح البحث مقبولا ومثمرا ومجديا • وقدموا في ذلك تفسيرات مختلفة • فنجد مثلا Reis mar and Glager, Dinney. ريزمان وجلازر ودينای في كتابهم . The Lonlly Growd • ينكرون أن فكرة أنماط الشخصية التي يصفونها في كتابهم تعتبر دراسة للشخصية الامريكية المتغيرة وانها تعبر عن شخصية دولة واحدة • ولكنها تعبر عن شخصيات متباينة في اطار الثقافة الامريكية •

وقبل أن نعرض لآراء الاجتماعيين في موضوع الشخصية القومية وموقفهم منه • نعرض لرأى أريك فروم وكاردنير • وهما من النفسيين الذين نحوا منحى ثقافي اجتماعي • وأخضعوا الدراسات النفسية للتفسيرات الاجتماعية والانثربولوجية •

وفي البداية نعرض لآراء اريك فروم أحد أنصار الفرويدية المحدثة • وقد رفض اريك مفهوم الشخصية القومية وأستبدل به مفهوم الشخصية الاجتماعية • وهو يرى أن مفهوم الشخصية الاجتماعية يفسر كيف تتحول الطاقة النفسية العامة الى شكل خاص من الطاقة النفسية يحتاج اليه كل مجتمع من أجل استمراره وأداء وظائفه •

ولم يقتصر رفض فروم على تفسير الانثربولوجيين للشخصية القومية بل تجاوز رفضه الى رفض التفسير الفرويدي التقليدي للشخصية •

I- Weber. Max- Essays in soclology Trans by Geith and c. wrugth, Mills. Routlidge and kegan Poul. London 1970. P. 65.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد رأى فروم أن القاعدة الأساسية للشخصية لاترى فى اطار أنماط مختلفة من تنظيم المجتمع ، بل فى اطار أشكال خاصة تحدد ارتباط الشخص بالعالم ٠ فالانسان لايستطيع أن يعيش منعزلا منفردا عن الآخرين ، بل عليه أن يرتبط بهم من أجل العمل والدفاع عن النفس واللعب واشباع الجنس وتربية الصغار ، والمعرفة وامتلاك الأشياء المادية ٠ (١) وتكون تلك التوجيهات التى تربط الانسان بالعالم قلب الشخصية ، وتكون فى الوقت نفسه جزءا من نسق الشخصية ٠ وتحدد سمات السلوك استجابة توافقية لموقف اجتماعى معين ٠ وهذه الاستجابة ليست فطرية ، بل متغيرة ، وبحصيلة عملية التعليم كذلك تتغير سمات الشخصية ، بيد أن تغير هذه السمات يرتبط بتغير نسق الشخصية الذى يتشكل استجابة لشكل البيئة الاجتماعية ٠ وليست الشخصية عنصرا فطريا ، بل تتكون نتيجة تفاعل الشخص مع المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذا المجتمع الذى ينتج الأدوات والآلات هو الذى يشكل أنماط الشخصية والتى تتوافق مع المطالب الاقتصادية والاجتماعية وتستخدم الطاقة استخداما أرقى لأداء الأدوار الاجتماعية ٠

وهو يرى أن الشخصية الاجتماعية أهم من الشخصية الفردية ، فالشخصية الفردية تدور حول مجموعة من السمات التى يتصف بها الفرد ، والتى تتخذ لديه شكلا خاصا مميزا ، وتكون هذه السمات الشخصية الفردية المميزة ، أما الشخصية الاجتماعية فتتكون من مجموعة مختارة شائعة من هذه السمات ، وهذه السمات المختارة الشائعة بين أفراد مجتمع ما ، هى النواة الأساسية لبناء الشخصية الاجتماعية والتى تتكون وتنمو نتيجة التجارب الأساسية التى يمارسها الفرد حسب طريقة الحياة السائدة فى المجتمع وهى أساس فهم كل العمليات السائدة ٠ (٢)

ويرى فروم أن المجتمع تسوده شخصية اجتماعية واحدة متجانسة ومتكاملة تعكس البناء الاجتماعى كله ، ولكل طبقة داخل المجتمع شخصيتها الاجتماعية التى تعمل وتساوى نشاطها فى الانتاج ، فلكل جماعة أو طبقة شخصيتها الاجتماعية المميزة التى تحددها أساليب التربية ، ومن ثم فوظيفة الشخصية الاجتماعية لطبقة ما أن تشكل الطاقة الحيوية لأفراد هذه الطبقة ، وتعكس سلوكهم وأفكارهم وتعبر عن حاجاتهم ومطالبهم ، ومن هذا المنطلق تكون أفكار مختلفة ، يصح لها القول أن تعبر عن الشخصية المتسلطة

1- Fromm Erick. Sociol dharacter in a Maxian village encit P. 68.

2- Fromm Erick. Fear of Freedom .P. 239.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والشخصية الانقيادية • وتعكس كل نمط من أنماط الشخصية فى البناء الاجتماعى طبيعة التفاعل بين الحركات السياسية والاجتماعية والنظم الاقتصادية والشخصية • فهذه الشخصية الاجتماعية ليست وليدة البناء الفوقى وحده أو البناء التحتى بمفرده • ولكنها محصلة التفاعل بين البناء الفوقى والبناء التحتى • ويكشف لنا تحليل الآمال والحاجات والقلق والتفضيلات السياسية أن قوة الأفراد ليست هى القوة المسيطرة • بل ان قسوة الأحداث هى التى تولد القلق • وتفجر التوترات عند الأفراد والذين يدورهم يبحثون عن حلول جديدة • كما تحدد سمات الشخصية وتوجه سلوكها •

واذا كان أريك فروم قد فسر الشخصية الاجتماعية من اطار نفسى اجتماعى فان كاردنير (١) قد قدم تفسيره للشخصية فى منظور أنثربولوجى نفسى • وقد أعطى لنا كاردنير مفهوما جديدا للشخصية يختلف عن مفهوم الشخصية القومية وعن الشخصية الاجتماعية وعن الشخصية البنوالية • هو مفهوم بناء الشخصية الأساسية • والذى اعتبره أداة اجرائية فى العلوم الاجتماعية • وتتجلى فائدة هذا المفهوم عند دراسة المجتمعات المحلية والثقافات سواء الحضرية أو الريفية • ويساعدنا هذا المفهوم أيضا على فهم أوجه الاختلاف بين هذه المجتمعات وأسباب ذلك •

ويهدف بناء الشخصية الأساسية لكاردنير تحقيق التكامل بين علم النفس والانثربولوجيا ذلك التكامل الذى أصبح ممكنا بعد أن هجر الانثربولوجيون الافتراضات التطورية التى تشكل الشخصية • كما يبين لنا كيف تؤثر هذه العوامل فى الشخص • ويظهر الدوافع التى تؤثر على تكيفها أو عدم تكيفها ويوضح مدى الارتباط بين الثقافة والشخصية •

هذا المدخل فى دراسة الشخصية يقترب من الانثربولوجيا النفسية • ويقوم على حقيقة مؤداها أن التعلم المباشر هو وسيلة انتقال الثقافة من جيل الى جيل داخل المجتمع • بيد أن معرفتنا بعملية التثقيف وعملية الانتشار الثقافى يظهران لنا أن هناك حدا يحد من التعلم المباشر للثقافة • ونحن اذا كنا لا نستطيع أن ننكر دور التعلم المباشر فى انتقال الثقافة • الا أن هذا الانتقال المباشر يتوقف على مر الفرد الذى

I- Kardiner Abram: The concept of Basicp ouanahts structure as an operatiense Tool in the social rcien cee In the rcience of man in the world crises/ by Ral phlinton printig. N.Y. Cokambian uni preas. I960.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يخضع للتغير الثقافي ٠ لكننا لانستطيع أن نغفل قدرات الأفراد عند شعب معين على انتقاء ما يرفضونه وما يقبلونه من عناصر الثقافة السائدة التي ينشئون عليها ومن ثم فعملية التعلم المباشر وحدها ليست وحدها كافية لتبرير انتقال الثقافة كما أنه من الأصعب أن نفهم كيف تتغير الثقافة دون استعارة عناصر ثقافية خارجية ٠ ودون انتشار الثقافات وهذا كله يدفعنا الى القول بأن عملية التعلم المباشر لاتفسر لنا الطابع التكاملي للعقل الانساني ٠ اذا ما أعطينا قدرا من الاهتمام لدراسة العلاقات العاطفية للأفراد مع البيئة ٠ ولهذا فهناك عنصر آخر غير التعلم يستطيع علم النفس أن يلقي عليه أضواء كثيرة فبجانب عملية التعلم المباشر هناك عمليات التعلم اللامباشر ٠ وتؤلف هذه العمليات معا مجموعة معقدة من الانساق التكاملية ٠ وتعرف هذه المجموعة المعقدة المتكاملة باسم بناء الشخصية الأساسية ٠

بيد أن معرفة التباين بين الأبنية الأساسية للشخصية نتيجة تباين الثقافات والمجتمعات لن يقودنا الى أبعد مما حققناه من دراسة النمط النفسي للثقافة ٠ على أنه قد يكون لهذه الدراسة مغزى في أساليب الدراسات الميدانية اذ في هذا المجال قد تستطيع أن نقتفي أثر بناء الشخصية الأساسية في مجتمع ما ٠ ومدى ارتباط هذا البناء بأسباب يمكنا التحقق منها تجريبيا

ومن ثم فمفهوم بناء الشخصية الأساسية لايخرج عن كونه أداة دينامية للبحث الاجتماعي فهو ليس حكما أوليا بل أنه محصلة دراسات تجريبية ٠ وقد توصل اليه لنتون بعد دراساته الحقلية في مجتمع تانالا وفي مجتمع ماركزان ٠ والذين حلل فيهما الارتباط الموضوعي للشخصية مع الأنظمة الاجتماعية ٠ ولقد أظهرت الدراسة التحليلية التي قام بها لنتون امكانية تطبيق المبادئ النفسية عند دراسة الثقافة ٠ وقد بدأ لنتون دراسته بتحليل تكامل الانسان التي تتكون في شخصية الطفل أثناء التجارب المباشرة التي يمر بها خلال عملية النمو تلك الانساق التي تنبثق من الدين والقيم الخاصة للجماعة ٠ ويعبر تكامل هذه الانساق عن مدى تأثر الطفل بأساليب التنشئة الاجتماعية ٠ كما يسهم في تكوين الاتجاهات الأساسية نحو الوالدين لدى الطفل ٠ وتحتل هذه الاتجاهات مكانا ثابتا في الجهاز النفسي للفرد ٠ وثمة أنظمة أساسية تعمل على تكوين اللب الثقافي للشخصية الأساسية أثناء عملية نمو الطفل ٠ واتساع تجاربه ٠ فمن خلال تلك التجارب الأولية التي يمر بها الطفل ٠ وما يترتب عليها من نتائج يتكون بناء الشخصية الاساسية وهو يرى أن الأنظمة الأولية وأهمها النظام الاقتصادي هي المسئولة عن تكوين بناء

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشخصية الأساسية في حين أن بناء الشخصية الأساسية بدوره مسئول عن ابقاء الأنظمة الثانوية .

وقد أوضح كاردينر أن أهمية هذا التصور ليست في ايجاد اسم جديد ، بل تكمن اهميته في حقيقة أنه قد مكنا من البرهنة تجريبيا على وجود أساليب معينة وهامة تؤثر في الفرد أثناء عملية النمو ، ولا مناص من حدوث تشابه في القيم وفرض أن المواقف نتيجة عدم تكيف اللب الاجتماعي للشخصية مع التغيرات الاجتماعية فهذا البناء ليس ثابتا ، ومن ثم يتعين أن يتوافق بناء الشخصية الأساسية مع التغير باستمرار ، والا عانى أفراد المجتمع في البلبلة والحيرة والقلق ، والتجأوا الى حيل دفاعية يواجهون بها هذه المواقف الجديدة .

وقد أجاب كاردينر اجابة موفقة على السؤال الخير عما اذا كان من الممكن أن نوفق بين فكرة بناء الشخصية الأساسية والحقيقة المسلم بها وهي أن لكل فرد في ثقافة معينة شخصيته المميزه . فقد أوضح أن هذا التساؤل لاجدوى منه فلكل فرد من أفراد المجتمع المحلي بناء شخصية مميز خاص به تشكله الى حد امكانياته الفطرية وتحوره المؤثرات الخاصة التي قابلها الفرد اثناء عملية النمو وتجاربه . واشترك أفراد جماعة ما في بناء شخصية أساسي لن يحول دون قيام شخصيات مميزه لكل منهم ويساعدنا على تفسير خصائص مشتركة بين أفراد المجتمع مثل عقدة أوديب وعقدة الخصاء ، ولا ريب أن أفراد الثقافة الواحدة يشكلهم جميعا مواقف مشتركة تحددها الأساليب التنظيمية السائدة .

ان أهم النتائج التي توصل اليها كاردينر عند دراسة بناء الشخصية الأساسية تأكيدة أثر المواقف والعناصر التنظيمية للثقافة في تشكيل الشخصية المميزه لكل فراد بجانب العوامل الفطرية ، توضيحه أن بناء الشخصية الأساسي يقوم على مدى تجانس الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر في أساليب التنشئة في بيئة ما ، كما قطع بامكانية وجود بناء الشخصية الأساسي في المجتمعات المتجانسة ، أما دراسة الشخصية في المجتمعات السياسية الكبيرة الحجم فأمر مشكوك فيه لتباين الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الواحدة فتساءلنا يحول دون قيام بناء موحد للشخصية الأساسية .

ان مفهوم الشخصية الأساسية لايختلف اختلافا أساسيا عن مفهوم الشخصية الاجتماعية الذي يعكس الوضع الطبقي أو المهني ، ولكن مدخل الدراسة هو يختلف فبينما تعكس الشخصية الاجتماعية العلاقة بين البناء الاجتماعي والشخصية ، نجد بناء الشخصية الأساسية يعبر عن مدى التلاحم بين الثقافة والشخصية . وهذان المدخلان في العلوم السلوكية

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يؤكد أن على أهمية التلاحم والترابط بين علم الاجتماع وعلم النفس من جهة • وعلم النفس والانثربولوجيا من جهة أخرى من أجل تحقيق روابط أوضح وفهم أفضل للسلوك الانساني •

وقبل أن نعرض موقف علماء الاجتماع من الشخصية القومية • نتساءل في البداية عن جدوى هذا المفهوم في علم الاجتماع •

بادئ ذي بدأ نقرر أن دراسة الشخصية القومية تتكون من مجموعة من الاقتراحات عن المطالب التنظيمية للدولة والمجتمع • لم يتحقق منها تحققا كاملا • فهذه الدراسات تدور حول فروض تتطلب التحول من النظرية الى التجريب (١) • كما تكشف كل هذه الافتراضات عن وجود فروق نفسية بين الدول • كما يساعد دراسة الشخصية القومية على تأكيد التفاعل بين العالم السلوكية • وازالة اللبس بين مفهوم الدولة ومفهوم الثقافة (٢) • ويحدد لنا المقصود بالسلوك الاجتماعي المطلوب كما تبين أن السلوك الاجتماعي يقع على متصل طرفيه الانحراف والتوافق •

Nett Emily: An Evaluatrion of the National cheracter concept in Socialogi cal theory social Forces - Vol 36- No4. I958.

(٢) يعتبر فاربر الدولة مفهما سياسيا جغرافيا • ويتطلب وجود السيادة السياسية والمكانة • ولكل دولة ثقافتها الخاصة التي تنتمي الى مجموعة ثقافية • أما الثقافة فهي تضم ذلك الكل المركب الذي يكون الثقافة من فن وعلم وعادات ••• وذلك يؤكد لنا أن العائلات الثقافية لا تعرف الحواجز السياسية • أما مفهوم الدولة فيتضمن مجموعة من الناس تعيش في منطقة جغرافية • محددة تخضع لسيادة الحكومة • ويجمع هؤلاء الناس مجموعة خصائص هامة هي روابط الدم واللغة والسنن المشتركة والدين والشعور بالتجانس الاجتماعي • وتقارب المصالح المشتركة • ولا يجب وجود كل هذه العوامل معا لقيام الدولة فقد تقوم الدولة رغم اختلاف الدين أو اللغات • كما لا تعمل كل هذه الخصائص التي تكون الدولة على تكوين الشخصية أما ما يكون الشخصية فهو الارتباط بنمط ثقافي خاص •

Farber, Maanice: The proviem of Nationel chieracter. A Methodolge cal anabyrns. in perronality and cocial system edeted by Nail Snelser and williams nelser N.Y. Tobe willoy I963. P.P. 80 - 83.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولكن ماذا يجنى علم الاجتماع ، وماذا يعود على النظرية الاجتماعية من معرفة أن المجتمعات والثقافات والدول فى روح الشعوب أو خصائص الشعوب (١) ، ونجيب على ذلك بأن هذه النظريات جميعا تقبل افتراض أننا اذا استطعنا فهم أى مجتمع باعتباره خلاصة نتيج من دراسة نمط الشخصية ، وأننا نستطيع أن نحلل النظم السائدة ، ونتنبأ بالسلوك فى مثل هذا المجتمع ، ولسوء الحظ فان القيمة التنبؤية للشخصية القومية لا زالت موضع جدال (٢) اذ أن جميع التنبؤات التى قامت على مفهوم الشخصية قد باءت بالفشل .

أما نحن فيرى أنه اذا كان للمصطلح فى علم الاجتماع فائدة يتعين علينا أن نتقبله كمجموعة من الافتراضات من المطالب التى تنظم حولها الدولة أو المجتمع لأبناء للشخصية الأساسية (٣) هذه الدراسات تثرى علم الاجتماع اذ يستدعى تطور التنظيم الاجتماعى توجيه اهتمام الباحثين فى الشخصية القومية الى موضوعات جديدة لم تحظى بعد الاهتمام المناسب من علماء الاجتماع ، مثل التفاعل بين المطالب التنظيمية البنائية وسلوك الصفوة وأيضا الدور الذى يلعبه متصل التوافق والانحراف فى البناء الاجتماعى باعتبارهما حافزين ايجابيين فى دينامية التغير .

وكان موريس جينزبرج من أوائل الاجتماعيين الذين انتبهوا الى الشخصية القومية فى الأربعينات من هذا القرن ، وقد قبل موريس جينزبرج مفهوم الشخصية القومية كما ورد عند الانثربولوجيين ، وأن عدل فى تعريف الشخصية القومية بما يتلاءم وموضوع الاجتماع ومنهجه ويرى جينزبرج أن موضوع الشخصية القومية بمعنى مجموعة متماسكة من السمات التى تظهر بعض الاستمرار والدوام النسبى (٤) يحتل مكانا بارزا فى الدراسات السياسية والتاريخية وأن تطابق الجوانب المختلفة لحياة الشعوب يعتمد على وحدة تطوره التاريخى واستمراره وتدل هذه الشخصية القومية عادة على الشخصية العامة السائدة من أفراد دولة ما ، وتعبر عن أنماط السلوك فى مجموعها ، أى طبيعة تنظيم الجماعة ، كما يتجسم فى النظم السائدة

1- Heine.

2- bid .

3- Nitl, E Mily: An Evaluatin of the Nationel cherocten conept in So cialogicol theory op cit 302 - 363.

4- Ginsbery Morris: Reason and unreasm in society. chepter 7/ London Mongm on 1948.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والانحرافات الجمعية واساسة العامة لهذه الجماعة • بل أننا يمكن أن نقول أن وجود النظم الاجتماعية يعتمد على شخصية الأفراد كما يشكلهم التفاعل المتبادل بينهم •

وانطلاقا من هذا الفهم • يرى جينزبرج : -

أولا - أن دراسة الشخصية القومية تعتمد على دراسة الخصائص التي تظهر في الحياة الجمعية للشعوب وتقاليدهم • وتعبر عنها السياسة العامة • وقد تعتمد على تقصي الفروق الفردية للسلوك •

ثانيا - غرض هذه الدراسات اكتشاف ما اذا كانت مظاهر الحياة الجمعية تكشف عن وجود سمات وميول دائمة ومستقرة نسبيا • وكيف تتكون هذه السمات •

ثالثا - رغم أن الشخصية القومية ترتبط ارتباطا لاحد له بالخصائص العرقية للشعوب فانها قابلة للتغير والتشكل الى حد كبير في صورتها الحالية • ومن ثم فليست الشخصية هبة • وليست هبة فطريا • ولكنها شيء يصاغ وتشكله وتفرضه الظروف التي يعيش فيها الشعب(1) • وهذا يتطلب منا دراسة النظم الاجتماعية التي تشكل الشخصية لكي نفهمها فهما واضحا • كما يستلزم منا معرفة تاريخ النظم وتاريخ النظام الحاكم الذي شكل هذه النظم •

وقد تفوق جينزبرج على الانثربولوجيين / عندما بين أن أعضاء المجتمع لا يشتركون جميعا في شخصية قومية واحدة • اذ أن التباين الاجتماعي الهائل في المجتمعات الحديثة • يؤدي الى تباين السمات والسلوك والاتجاهات • وهو يرى أن خصائص الطبقة لها نفس أهمية الخصائص القومية عند الشعوب • بيد أن الأمر المسلم به هو أن أعضاء الطبقة العليا في مجتمع ما يشتركون في خصائص مشتركة مع نظائرهم من الطبقات العليا في الدول الأخرى • تزيد عن الخصائص التي تربطهم بأعضاء الطبقة الدنيا في مجتمعهم • وهو يرى أن خصائص الطبقات في المجتمعات الطبقية لا تقل أهمية عن الخصائص القومية في تحديد شخصيات أعضائها • كذلك فهناك علاقات معقدة بين النظم والشخصيات الأفراد التي تؤكد هذه النظم وتعبر عنها • فالنظم هي التي تشكل الناس كما أن الناس هي التي تصنع هذه النظم • وتعدل فيها •

وقد ساهم تلكوت بارسونز برأيه في موضوع الشخصية القومية • وبين أن الشخصية القومية لا توجد في البناء المعقد واللامتجانس • ويقبل بارسونز مفهوم كاردينر عن بناء الشخصية الأساسية الذي يعبر عن العناصر المكونة لبناء الشخصية العادية للفرد في المجتمع • ولا

Ginsberg : I bid

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يشير الى بناء الشخصية الفريدة المميزة باعتبارها وحدة ملموسة محسوسة وبناء الشخصية الأساسية هو المظهر الوحيد لبناء الشخصية الكلى الواقعى والمعبر الوحيد عن توجيهات القيم وتوقعات الأدوار • وهى تتكون بتأثير عملية التنشئة الاجتماعية فى طور الطفولة • ويتكون قلب الشخصية من توقعات الدور الدور وتوجيهات القيم والقيم السائدة • وهذه العناصر ليست جامدة وليست مرنة بغيرها المرء حسب أرادته ولكنها تتنوع بمحتظظة بالسمات الأساسية للشخصية وهى تتغير تجارب المرء • وأهم ما يميز العناصر المكونة لبناء الشخصية هو استقرارها النسبى • وهذه العناصر ليست عناصر فطرية • بل عناصر مكتسبة • يرتبط بها المرء أثناء عملية التوحد •

وبناء الشخصية الأساسية بناء مستقر استقرارا نسبيا • وهذا البناء يتغير بتغير البناء كما يتغير من بناء لآخر • بل هو متغير بين أفراد البناء الواحد • اذ يتباين حسب المركز الاجتماعى للأفراد وبين طبقة لأخرى • كما يتميز بناء شخصية الرجل عن بناء الشخصية الأساسية للمرأة • فأعضاء البناء الاجتماعى لا يستقيهم مثال واحد لشخصية أساسية • فهم ينحرفون قليلا أو كثيرا من هذه الشخصية الأساسية ويرجع هذا التباين الى أسباب ثلاثة

أولا ـ تباين البناء الجسدى وتباين القدرات •

ثانيا ـ تباين تأثير عملية التنشئة •

ثالثا ـ اختلاف تأثيرات المواقف على نتائج التفاعل •

وقد تفوق بارسونز عن غيره من الاجتماعيين • عندما ربط بين تباين الشخصية الأساسية بالعمليات الدافعية • وهذه العمليات الدافعية عنده ليست فطرية • بل اجتماعية[1] •

وقد قبل عالم الاجتماع دهرندوف بمفهوم الشخصية القومية[2] • وأيد وجهة نظر روبرت مرسيل أن سكان المجتمع لديهم على الأقل تسع شخصيات هى : الشخصية البيدنية والشخصية القومية والشخصية المدنية • وشخصية الطبقة والشخصية الجغرافية وشخصية الجنس والشخصية الواعية • وشخصية اللاشعور • وربما الشخصية الخاصة •

فالشخصية القومية عنده ليست هى النموذج (المثال) الذى يشكل سلوك الشخص وطباعه ودوافعه • بل جانب من الشخصيات التى تؤثر فى تصرفات الشخص واتجاهاته وترتبط خصائص كل هذه الشخصيات فى نفسه • ولكنها تحوذاتية وفرديته • فالانسان يعيش فى مجتمع • له مجموعة من الخصائص والأدوار والشخصيات أما شخصيته الخاصة • والتى

1- Porson, t,: Social system.

2 - Dabre dorf Ralf: Homa sociolo Gicus London Routledge. I973. P. !

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ليست من صنعه ، فانها تترك له مجالا صغيرا من الحرية والتى يمكن اذا كان لديه الرغبة والقدرة والقوة ، أن يستغلها فى مسائل خاصة به فقط ، وتقف تلك الشخصية الخاصة ، أمام الشخصيات الأخرى ، وهو لا يخضع تلك الخصائص ، ولكنها توجد فى الخارج ، وعندما يتوحد بها ، ويبدأ فى افتقاء ذاتيته ، وادائه أدواره فى المواقف الاجتماعية المتتابعة ، والشخصية عند أدائها لأدوارها ليست مجموع تلك الشخصيات التسع ، كما أن الشخصية العاشرة أكثر من مجرد تجميع أو تدعيم هذه الشخصيات التسع ، اذ أنها تحكم عالم داخلى ولا تسبح فيه بشخصيات أخرى جانبها اذ أنها تصهر كل هذه الشخصيات التسع فى وحدة قد تأثرت بها .

أما دون سميث فهو رى أنه فى مواجهة الاهتمام الشامل بمصطلح الشخصية القومية فى علوم كثيرة ، وزيادة الاستعمال الواسع لهذا المفهوم فى مجالات متباينة من مجالات التحليل العلمى ، فانه من السخرية أن يكون البحث الحالى فى طبيعة الشخصية القومية موضع خلاف كبير فى العلوم السلوكية ، وهى العلوم التى تبحث خاصة هذه الشخصية نفسها ، وتقوم تلك الانتقادات التى وجهها سميث على الدعاوى الآتية : ـ

ترتب على الاستناد على طرق ذاتيه لجمع المعلومات وأساليب للقياس غير واضحة والاعتماد على عينات صغيرة لا تمثل الأمة ، وعدم وجود نظرية منهاجية ، والافتقاد الى تحليل خاص للمفاهيم ، والتحليل البسيط السطحى لظواهر شديدة التعقيد ، وعدم التأكيد الكاف من صحة النتائج ، ترتب على كل الأخطاء خلط كبير فى مضمون دراسات الشخصية القومية .

وفى محاولة لتقديم بديل لمفهوم الشخصية القومية ، والذى عانى من محاولة الهدم وابراز العيوب ، دون محاولة لتقديم عرض بديل ، يبين سميث أن العناية المفرطة بدراسة الشخصية من خلال الاطار النفسى وحده كمدخل لدراسة الشخصية القومية ، هو المسئول عن الطريق المسدود الذى وصلت اليه دراسات الشخصية القومية ، وهو يرى أن المدخل السليم لهذه الدراسة هو دراسة منظومة الاتجاهات النموذجية فى دولة ما باعتبار هذا المدخل اضافة ملائمة تتغلب على نقاط الضعف الكثيرة التى تنشأ عن استخدام مفهوم الشخصية بمعناة النفس .

ومن الناحية المنهاجية ، فان أى تفسير ملائم للشخصية القومية ينبغى أن يخضع تماما لصرامة التجريب ، فضلا عن ذلك ينبغى أن تتوافر فيه أولا : جمع عدد معلومات يكفى لاختبار تكرار النموذج وتفسير تعدد النماذج ، ثانيا : قابلية هذا التفسير للتطبيق

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

على مجال كبير ، أى على عينة ممثلة ، على أن يدرس كل فرد من المجيبين على حدة (١) .

وهو يجيري أنه ينبغي على أية دراسة في الشخصية القومية / أن تهتم بالاعتبارات الاتية : ـ

أولا ـ أن تبحث عن الخصائص النفسية الشائعة نسبيا بين الأعضاء البالغين في مجتمع ما .

ثانيا ـ ينبغي أن تكون هذه الخصائص موجودة فعلا في المجتمع ، ولا تكون تركيبا ذهنيا اقتضته الدراسة الاجتماعية أو الطابع الاجتماعي للشخصية .

ثالثا ـ يتعين أن تكون هذه الصفات صفات أساسية جوهرية من الناحية النفسية والاجتماعية .

رابعا ـ ينبغي أن تكون هذه الصفات باقية ومستمرة الى حد ما ، وتحمل طابع الاستقرار .

خامسا ـ يتعين أن تكون خصائص الشخصية أبعادا حاسمة في تحديد السلوك ، وبذلك يتأتى الوصول الى مفاهيم تقود البحث الى نتيجة ايجابية .

ولذا علينا أن نبحث الشخصية لا في اطار خصائص الشخص ، بل في اطار أسباب توافر هذه الخصائص عند مجموعة معينة من الناس ، سواء أكانوا شعبا أم دولة ، ويمثل هذا البحث يحاول أن يعرف الاتجاهات السائدة بين الشعوب ، ومدى تفاوت تأثير تلك الاتجاهات بين الأجزاء المختلفة من السكان .

وهذه الدراسة في حد ذاتها تمكن من اجراء دراسة أكثر دقة لتكوين الشخصية القومية ومدى استقرارها ، ومدى قابليتها للتغير ، اذ أن دراسة الاتجاهات تفسر لنا التباين وعدم الاستمرار ، بينما ترى الدراسة التقليدية أن التباين وعدم الاستمرار يعبران عن انحراف المنهج النظري أو نتيجة عدم تكامل المنهج .

ومن خلال دعوة سميث لمنهج جديد للشخصية القومية ، يرفض تلاحم الشخصية والثقافة ، ويرى أن ثمة فائدة تعود علينا من رؤية الشخصية كمتغير يتجاوز الثقافة نفسي

---

(١) Smith Don: Modal Attitade clastsrs. A supplement For the ctady of National chevacter social forces.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هذه الحالة لاتقارن الأمم بعضها ببعض في اطار توجيهات الشخصية وهو مفهوم واسع لايعطي لنا نقطا للمقارنة قابلة للدراسة ولكن تقارن المجتمعات من حيث توزيع الاتجاهات بين أفرادها • وهذا يتيح لنا اجراء دراسة بمقارنة أكثر دقة (١) •

ويتساءل سميث هل البحث في الاتجاهات يؤدي بنا الى انكار موضوع الشخصية القومية ؟ في كل الاحتمالات فالفروق بين الدول تتكون من تباين توزيع اتجاه معين بدلا من الوجود الكلي لصفة معينة في مجتمع ما وغيابها في المجتمع الآخر • ولذا فالدراسة الكمية للاتجاهات تسمح لنا بدراسة التماثل • مثلما ندرس التباين بين السكان • ومثل هذه الدراسات تحول الاتجاه النفسي الذي يغلب على دراسة الشخصية القومية الى اتجاه اجتماعي على لمفهوم الشخصية القومية • يقضي سيطرة اتجاهات معينة على معظم أفراد الجماعة •

ولذا فثمة فوائد عديدة تعود علينا من دراسة الاتجاهات كمدخل لدراسة الشخصية القومية • أهمها : ـ

أولا ـ انها تسمح باستخدام نموذج الاتجاهات بارتباط أكثر تحديدا بين الخصائص النفسية والصور المحددة للبناء الاجتماعي •

ثانيا ـ وهذا التحديد نفسه يجعل من الممكن اجراء أكثر تحديدا لتكوين الشخصية القومية • وكيف تستقر وبقى وكيف ولماذا تتغير ؟ وقد نختبر أساليب تربية الأولاد • أو ندرس تأثير جماعات مرجعية معينة على الاتجاهات في كل الظروف • ومن الأهمية أن نعرف أيهما يؤدي بنا الى معرفة واضحة للطبيعة التفاعلية للشخصية القومية •

ثالثا ـ تسمح الاستجابات النوعية لموضوع معين • بتحديد أكثر النقاط المرجع عند القيام بالدراسات الثقافية المقارنة • ومحور التوزيع هو الاتجاهات مما يسهل التحليل الاجتماعي للشخصية القومية •

رابعا ـ يسمح التحديد الأكبر والنوعي لصياغة الاتجاهات بتوجيه الانتباه الى حقيقة الشخصية القومية • وقد جعلت الدراسات القديمة موضوع الشخصية القومية وقد جعلت الدراسات القديمة موضوع الشخصية القومية موضوعا له دلالة وسياسة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الى حد كبير . ولكنها في الوقت نفسه لديها وسائل قليلة لاثبات صحة أرائها أما أرائها . أما دراسات الاتجاهات . فتطبق مفهوم الشخصية القومية على مشكلات ملموسة وتجعل من الممكن اختبار صدق هذا المفهوم عند ملاحظة كيف أن هذه التنبؤات الصائبة التي تبنى استنادا على هذه العادة يبرهن عليها . ويرفض الكس أنكلز مفهوم الشخصية القومية . ويستبدل به مفهوم الشخصية التوالية . نتيجة الاعتقاد بأن النتائج البريقية قد تنتهي الى قضية التعميم . كما أن الدراسة المنهاجية للشخصية القومية كموضوع للبحث العلمي تقود بنا الى طريق مسدود . وقد بين انكلز صعوبة تطبيق آراء جورر في المجتمعات سريعة التغير . اذ أن نموذج جورر يتطلب التوضيح والتفسير لكي نفهم الشخصية القومية كما تظهر في ظروف التغيير . كما بين استحالة وجود نمط عام للشخصية القومية يشترك فيه أكثر من نموذج — فكل نموذج له سماته الخاصة به المشتركة بين أفراده ولكن الأمر في النهاية لا يخلو من وجود سمات مشتركة بين هذه النماذج وهو يرى أن الدراسات التي اهتمت بالشخصية النموذجية تعاني عيوبا كثيرة . وهذه العيوب تجعل هذه الدراسات عقيمة . وتجعل منها برهانا ضعيفا في تدعيم أية نظرية . وهذه العيوب هي : —

أولا — أنها لم تجر اختبارات لأية نظرية . أو اثبات أي نموذج مضاغ . ولكنها تقوم على عينات صغيرة مختارة عشوائية . ومن الصعب تعميم نتائجها بثقة .

ثانيا — يتم التحليل على العينة كلها بلا تفرقة بين الخصائص الفردية داخل العينة .

ثالثا — يتم وصف الشخصية عادة وفق مفاهيم نفسية اكلينيكية يصعب ربطها بالبناء الاجتماعي .

وبعد أن نقد أنكلز الاتجاه التقليدي في الدراسات المهتمة بالشخصية القومية بين أن الشخصية التوالية تشير الى مجموعة من خصائص وأنماط الشخصية الثابتة والدائمة والظاهرة بين أعضاء المجتمع الكبار . (وهو يرى أن النظر الى الشخصية باعتبارها المجموعة الكلية للقيم والنظم والتقاليد الثقافية وأساليب العقل . التي تعبر عن تاريخ الشعب . وربما تفتقد التحليل العلمي . لصعوبة استخدام القياس ولصعوبة قياس السبب والنتيجة . وتعوق الدراسة المنهجية للعلاقات بين العناصر . ولذا رفض الاتجاه التقليدي لدراسة الشخصية القومية وفضل الشخصية الأساسية باعتبارها تعبر عن ظواهر أمبريقية . لها دلالة أمبريقية . تميز عن الظواهر الهامة الأخرى والتي يمكن أن تبحث

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

باستمرار باستخدام مقاييس موثوق فيها ، ومناهج صادقة (طرق بحث صادقة) تشير الى مجموعة من خصائص وأنماط الشخصية الثابتة الشائعة والظاهرة بين أعضاء المجتمع (١)

ووفقا لموضوع علم الاجتماع وتباين أنظمة المجتمع الكبير ، أشار أنكلز الى سمة موروثة الابن لشخصية والديه ، أو يعبر في سلوكه عن قيم سائدة لقيم والديه اذ يخلق المجتمع المتغير دوما أنماط جديدة لشخصيات المجتمع وهذه الشخصيات الأساسية . وفضلا عن تغير بعض مكونات الشخصية الأساسية من جيل لآخر ، أوضح أنكلز أن هذه المكونات تختلف من فئة اجتماعية لفئة أخرى ، فهي عند العمال الصناعيين مخالفة لفئة الفلاحين أو أعضاء الطبقة الوسطى .

وقدم أنكلز لنا تعريفات خمسة عن الشخصيات : ـ (١)

الأول ـ الشخصية القومية نمط تنظيم :

وهذا التعريف ، أكثر شيوعا بين علماء السياسة ، وتمثل الشخصية القومية النظم السائدة ، أو الشائعة والمثلة ، وخاصة تلك التي تهتم السياسة والاقتصاد بعد أن الاختيارين النظم السائدة في مقابل النظم الشائعة أو المثلة كأساس لتحديد الدولة أمر صعب وقد أدى الى خلط كبير في تلك الدراسات التي لم تحدد تحديدا قاطعا أو تفتدي بهذا التحديد بينهما .

الثاني ـ الشخصية القومية موضوع تقاسي :

ويعطي هذا التعريف تأكيدا أساسيا الى الأسرة والصداقة والمجتمع المحلي والقيم والاتجاهات وفلسفة الحياة والدين مغفلا النظم السياسية والاقتصادية والأفكار دائما تختار باعتبارها منذ أخلسة أو تغرس في المجالات الاجتماعية وهذا التداخل أكثر شيوعا بين الانثربولوجيين . وفي الوقت نفسه بين المؤرخين وعلماء السياسة والكتاب الذين يتحدثون عن روح الشعوب والنظرة العالمية وأساليب الحياة ومثل تلك الأفكار .

الثالث ـ الشخصية القومية سلوك :

هذا التدخل يعطي تأكيدا أكبر للسلوك . ونتائجه مع الاهتمام بصفة خاصة بالتأثير السياسي والاقتصادي . وترى هذه النظرة أن الأنماط التنظيمية الرسمية والمعايير والشائعة ليست بالأدلة التي يوثق فيها لفهم الشخصية

I- Inkle. Alex: No tional character and Modern political systeva opcit 220.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

القومية . ويؤكد الذين تبنوا هذا الاتجاه على تاريخ الشعوب والمجتمعات وعلى هذا الأساس يمكن أن نميز الشعوب الى شعوب محاربة محبة للسلام أو العدوان . والى شعوب منتجة أو متأخرة . والى شعوب أمينة أو خادعة . والى شعوب برجماتية صناعية أو مثالية غير عملية .

ولا يختلط هذا التحليل مع نمط ثالث يعرف الشخصية القومية بأنها الصفات المميزة للأشخاص . والتي تدرس باعتبارها مستقل يساهم في تفسير بعض أشكال السلوك السياسي .

رابعا ـ الشخصية القومية مركب توفيقي :

يحظى هذا التعريف تأكيدا على المظاهر المختلفة للمجتمع والثقافة بما في ذلك الأنماط التنظيمية . والأفكار والسلوك . باعتبارها تعميمات لحقيقة أساسية تحكم العلاقات الشخصية في كل ثقافة .

خامسا ـ الشخصية القومية نفسية الشعوب :

يعتبر المدخل الذي يربط الشخصية القومية بمجموعة من الخصائص النظرية البيولوجية للجماعة من أقدم المداخل . وأكثرها شيوعا . ولكنه كان أكثر المداخل التي تعرضت للنقد في العلوم الاجتماعية الحديثة . بل وأكثرها استهجانا . ويرتبط هذا المدخل بالسلالات وهناك اتفاق عام على أن الخصائص البيولوجية عند السكان القوميين لا تأثير لها على تشكيل النظم الثقافية وسلوك هؤلاء السكان .

وكل هذه التعريفات . انما هي تعريفات اجرائية . سواء تلك التي تدخل انكلز أو غيره من الاجتماعيين والانثربولوجيين . ولا شك أن غرض تعريفات السلوك المطلوب اجتماعيا . وخاصة القيم والمعايير وتوجيهات القيم . هو الحقيقة الأولى التي يتمسك بها معارضو مفهوم الشخصية القومية . بيد أننا لانجد اي فرق بين توجيهات القيم والشخصية القومية . وهذا هو ما أرثاه سميث عندما اعتمد على مدخل الاتجاهات لفهم الشخصية القومية . اذ أن مدخل توجيهات القيم يحقق دائما التطابق من سمات الشخص مع توجيهات قيم المجتمع (١) .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ان كل ما يهتم به الآن دارسو الشخصية القومية وهو تحقيق نتائج تجريبية تعتمد على دراسات تجريبية ، تعرض علينا جديدة تفسر حقائق السلوك الاجتماعي المطلوب تفسيرا منطقيا .

وبعد هذه الاطلالة على الدراسات التي اهتمت بالشخصية القومية على الرغم من وجود فروق كثيرة ، وهامة في الدراسات الرئيسية التي كانت تهتم بالشخصية القومية قبل عام ١٩٥٥ ، فانها جميعا تشترك في تساؤلات هامة معينة لأنها تبحث في السلوك الانساني ، كما تضم في جملتها نموذج الشخصية الأساسية لجماعة كبيرة ، كما أن مهمتها كانت وصفية أكثر منها تحليلية(١)

وكانت الجماعة التي تختار الدراسة ، لاختبار بحث نظرية معينة داخل هذه الجماعة بالذات ، ولكن الجماعة تختار وفقا لأهميتها ، أو لانها تمثل منطقة ثقافية هامة وكانت المقاييس التي تستخدم عادة تتكون من مجموعة متنوعة من الاختبارات الاسقاطية ، وكانت النتائج تخلط مع معلومات أخرى ، وتخضع لتفسير معقد واكلينيكي للوصول الى شكل عام عن النمط الشائع ، كما كانت هذه الدراسات تفتقد المقارنة مع الشخصيات الأخرى ، وكانت الشخصية ترتبط بالثقافة ككل ، أو مع مجموعة أشكال ثقافية لا مع نمط ثقافة فرعية مثل السياسة (٢)

أما الدراسات التي بدأت بعد ١٩٦٠ ، فقد اتخذت اتجاها مغايرا ، وشكلا جديدا ، وبدلا من أن تبحث عن صورة عامة ، اتجهت الى القيام ببحوث تركت على سمة معينة ، وحيدة أو مجموعة من السمات وتجنبت هذه الدراسات الاعتماد على الانطباعات الشخصية والملاحظات الشكلية ، وأعلت من شأن الاختبارات المنهاجية ، وأستبدلت بآراء الرأي العام الاختبارات الاسقاطية النفسية ، ولم تحصر هذه الدراسات نفسها حول دولة واحدة أو جماعة معينة ، بل أجريت هذه الدراسات في مجموعة من الدول في وقت واحد معتمدة على المقارنة الصريحة الظاهرة ، وقد حلت العينات الكبيرة الممثلة للشعب كله محل العينات الصغيرة الخاصة غير الممثلة ، والتي تدل على الماضي ، وبدلا من ربط النتائج بنمط الشخصية بالثقافة أو المجتمع كله ، فان الباحثين الجدد قيدوا دراساتهم بجزء محدد من البناء الاجتماعي أو مجموعة خاصة من الأدوار بل انهم كثيرا ما اكتفوا بدراسة مركز واحد مثل مركز النظم أو دراسة الجماعة ، كما أشار فان الاتجاه الجديد رأى أن دراسة شخصية الجماعة نفسها ، صار مقولة متخلفة وأخر من

1- nere Emily: An Evalootin of the Notisnal charocter conopt opac.

2- Inkles, Alex : Natical character and modun political systoun or. cie 225.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

آثار الماضي ، واهتمت الدراسات الجديدة بتحديد العلاقة بين الشخصية القومية وبين المتغيرات الأخرى ، لتحديد خصائص الشخصية القومية نفسها .

وعلى كل فإن مداخل دراسة الشخصية القومية من جينوبر كما يقول (١) ، أنقسمت إلى مدخلين ، المدخل الأول يرى الشخصية القومية باعتبارها مجموعة سمات شائعة ومشتركة بين أفراد الجماعة ، والمعنى الآخر يدرك الشخصية القومية باعتبارها سلوكا نمطيا للجماعة ككل .

الانتقادات التي وجهت إلى مفهوم الشخصية القومية :

لم يسلم مفهوم الشخصية القومية ، والدراسات التي أجريت عن الشخصية القومية أو الأنماط الثقافية للشخصية من النقد .

ويأتي هذا الانتقاد على رأس الدراسة المقارنة بين الثقافات المتباينة التي تهتم بالمقارنة بين الثقافات ، وهو ما يميز دراسات الشخصية القومية في كل مكان ، ويمكن الاستدلال على انتقاد هذه الدراسات الأنماط النمطية التي تصور تصورا دقيقا شخصية أي شعب .

يقول نويل أن الباحثين المعاصرين المحليين منهم أو الأجانب يدركون الانتقاد لتصوير الشخصية القومية تصورا كليا ، وإذا كان المعلومات الخاطئة عن الشعوب الأجنبية ، واتجاهات التحيز تحول من التصوير أو التحذر بصفة تصوير ملائم لبناء الشخصية القومية (١) .

ثانيا — عدم إمكان تجنب التحيز الشخصي في الملاحظة والتفسير عند دراسة الخصائص القومية ، فمعظم الكتب عن الخصائص القومية ، يوضح أنها دراسات أدبية وليست علمية إذا ما تعدى الأمر دراسة خصائص الشعوب ، وعلينا أن نتوقع أخطاء عديدة لا مفر منها نتيجة تحيز الباحث .

ثالثا — تعقيد مفهوم الجماعة القومية ، وحسبما لاحظت الثقافة أنها تتباين تباينا كبيرا في الوحدة الاجتماعية من حيث تجانسها ، ونحن لا نجد تعريفا جامعا مانعا لمفهوم القومية أو تعريف جينوبر القومية بأنها مجموعة من الجماعات تكون معا علاقات وروابط أفراد هذا الشعب أوثق متانة ، وهم يحتمون أنفسهم وحدة متماسكة ، ولديهم

---

1 I- Noel : Am Evolnot .
2- charactu in so so ciolgical rheauy- op cit

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الارادة ، ليعبروا عن هذه الوحدة في الاستقلال السياسي أو على الأقل عند قياس الاستقلال الثقافي .

وهو يرى أن تصنيف الدول السياسية يتطلب أن تأخذ في الحسبان : -

(أ) نمط الوحدة السياسية .

(ب) درجة التباين الاجتماعي أو نمط بناء الطبقة كما يجب أن نوجه الاهتمام الى ظهور الطبقة الوسطى .

(جـ) درجة التماسك والتجانس الثقافي وخاصة اللغة والدين .

رابعا - عدم وجود نظرية مقبولة قبولا عاما عن بناء الشخصية ويرجع ذلك الى التعقيد النسبي الذي تنطوي عليه العوامل الوراثية والبيئة في تكوين الشخصية . وقد أدى عدم وجود نظرية في الشخصية القومية الى الاعتماد على الانطباعات الحديثة بدلا من الاعتماد على التحليل والتفسير العلمي (١) .

خامسا - وقد انتقد بندكس مدخل التحليل النفسي لدراسة الشخصية القومية ويرى أنه اذا ما سلمنا بأن رموز الثقافة تعتبر مفاتيح لفهم أنماط وخصائص شخصية المشاركين ، فاننا نتجاهل التعارض بين النظم وأنماط الثقافة والعادات النفسية عند الشعب . وأيضا نتجاهل الأهمية الأساسية للتغيير ويتحفظون على العالم النظري ألا يقل من هذا التعارض ويميل عليه في الحقيقة أن يحجب عن مناهج للنظم الاجتماعية المستمرة داخل الانحراف بدلا من التوافق (٢) .

سادسا - يعاب على دراسات الشخصية القومية دائما ، عدم تكامل المنهج والذي تحدد عادة التطورات النظرية التي يبدأ منها البحث . ويرى سبيت أن الضعف الأساسي في دراسة الشخصية القومية يكمن في مدخلها ، مما يؤدي الى قصور البحث فهناك انتقادات طريقة استخدام العينة ، وطرق تسجيل الملاحظات والتحليل الكمي للبيانات (٣) .

سابعا - نوقشت بشكلة العملية والاتجاه نفسها على دراسات الشخصية القومية تثيرا خرج لنا كلينبرج السؤال الثاني ، هل الشخصية الياباني بالشدة وعدوانية وبتكلفة نتيجة التعود على طريقة معينة لاخراج الفضلات (التبرز) أم (تعكس)

1- Norbech, Edword: Culrure and pessonobty, op cit .
2- Cinsberg: Peason and cinredun in sociely.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هذا الجمود وهذا العدوان وهذه المظهرية ، بحصلة عملية التربية ، أن الاجابة على مثل هذا السؤال ، لم تجد طريقها بعد في الدراسات الاجتماعية . فمشكلة العملية ومشكلة الارتباط ، مشكلتان محيرتان في علم الاجتماع ، فبينما نجد من يؤكد العملية بين الظواهر ، ترى (نست) يرسون أن التحليل البنائي يقدم لنا الحل لهذه المشكلة ، فالعملية هي أساس تعاقب الظواهر لا الارتباط الالي بينهما .

ثامنا - صعوبة أخيرة تواجه دراسات الشخصية القومية ، هي مشكلة التعميم والسؤال هل يمكن لنا أن ننتقل من مستوى الفرد والجماعة لعمم من العلاقات بين الشخصية والنسق السياسي ، أو الاقتصادي على المستوى الاجتماعي . يرد معظم الباحثين على السؤال والايجاب مبيد أن اجاباتهم تفتقد البرهان والتجريب اذ أنهم يفضلون في تقديم برهان يثبت قولهم . ويقرر أنكلز أن المداخل المختلفة لدراسة الشخصية القومية سواء التي تستند على البناء التنظيمي أو السلوك أو الفعل القومي لا تتضمن واقعيا أي فهم عام ، وأساليب مقننة واجراءات منظمة أو أفكار صادقة مقبولة من الجميع ويسابر هو هذا الاتجاه ، ويرى أن المشكلة الأساسية هي مشكلة التعميم بالفروق بين الأفراد واسعة المدى ، ولنا أن نقول بأنه لا يوجد فردان متماثلان ، مما يجعل من العسير ايجاد معيار عام للتعميم في هذه المجتمعات الكبيرة .

ويرى أنكلز أن النتائج التي تخرج بها من هذه الدراسات محيرة ومربكة ، ولا تمثل المجتمع تمثيلا صادقا ، كما يصعب اجراء المقارنات بينها .

ويدعم نت هذا الاتجاه ويرى أن تعميم النتائج من دراسة عينة صغيرة ، لا يمكن أن يعبر عن الشخصية القومية الا اذا افترضنا أن العينة ممثلة للمجتمع كله ، وهو فرض من الأهمية اثباته .

1- Nitl: An evolu aitins the Noton of charaeter Concipt in sociole gical tleary. op cite.

2- bid

3- In bdes: No tional charoater od moder pobticl. ngtiws op eit P 227.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويترتب على ذلك أنه بالرغم من هذه الصعوبات ، فمن الخطأ أن نرفض وجود نظرية في الشخصية القومية ، ونعمم تلك الدراسات بأنها وهمية ، ان الخطر الناشئ عن التحيز وإقحام الأحكام القيمية ، ليست قاصرة على دراسات الشخصية القومية وحدها ، ولكن يمكن ملاحظتها وتجنبها ، ويمكن لنا أن نكثر من الدراسات القومية باجراء مزيد من الدراسات عن شخصيات الجماعة داخل الدول ،

وثمة سؤال حائر يحتاج الى مزيد من البحث ، مؤداه هل من الممكن أن ندرس بناء الشخصية بمعناه النفسي الضيق كنظم للسمات ، أم من الضروري أن ندرسه على مستوى قومي ، يستند على مفهوم أهم يتضمن الشخصية ، ووصف بعض الأنظمة الهامة في الدولة وما مدى مجال تلك الدولة ، أي هل من المفيد أن نتحدث عن الشخصية الأسبانية دون أن نشير الى وضع الكنيسة الاقطاعية في أسبانيا ، أو نتحدث عن عدم تدين الروس دون الاشارة الى اتجاهات الحزب السوفيتي الى الدين ، وهل من الممكن أن ندرس الشخصية الامريكية دون أن نتحدث عن النظام المالي الامريكي وبالمثل نتحدث عن الشخصية المصرية دون أن نستعرض سنوات الاحتلال الأجنبي في مصر ابتداء من عهد الفرس الى الاحتلال البريطاني ، لاجدال أن الاجابة على هذا السؤال تتطلب أن تتضمن دراسة الشخصية دراسة مظاهر الحياة القومية ، ولا فائدة تعود علينا من دراسة السمات بالمعنى النفسي الضيق ، بل لن نفهم الشخصية الا في اطار الجماعة ، تعبيرا عن ، تعكس حياة الجماعة ، اذ من المستحيل أن نقيس الخصائص النفسية التي تقوم عليها الحضارات التي تقوم عليها الحضارات المعقدة التي يعيش فيها ملايين الأفراد ، فالفروق بين الأفراد واسعة المدى ، بل لا يوجد فردان متماثلان في جميع السمات والخصائص ، أما اذا حاولنا أن ندرس الشخصية القومية على مستوى صغير نجد أن الامر ممكن ، ولن ننجح في ذلك في المجتمع الصغير الحكم ، ولكن انه من المستحيل أو نستخلص نمط واحد يعبر عن شخصية قومية واحدة تعكس تفاعلات ملايين الناس ، وسلوكهم آمالهم ودوافعهم ، وتوجيهات القيم عندهم ،

كما أن دراسة الشخصية القومية ، تتطلب منا ألا نقلل من الأهمية التاريخية للخصائص السلوكية ، باعتبار أن الخصائص السلوكية والاتجاهات والقيم ، تحددها كلها الثقافة والتاريخ — باعتبارهما بعدين هامين يتداخلان في التأثير على بناء الشخصية الأساسية فمثلا يرى هاريس مازنين ، أننا لا يجب ان نغفل دور التاريخ في العلاقة بين طريقة لف

1- Hsu. Francois: Psychological Anthispology in Belraises seiencis. op cit. 2- Nett: An evalagtin. the National charaeter coneipt in soulo gicel. op cit.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الغاط حول وسط الرشيح والتدريب على الاخراج (١) تلك الطريقة السائدة في مجتمع اليابان • والتي تطبعهم بطابع اجتماعي معين - وأهمية التاريخ في تكوين الشخصية القومية • دفع فاريز الى التساؤل هل يمكن أن نجد في دولة اسرائيل ثقافة قومية تعكس شخصية قومية اسرائيلية • وكان جوابه على هذا السؤال السلبي (٢) اذ أن دولة اسرائيل تتكون من خليط من الشعوب • نزحوا اليها من دول مختلفة • لكل مجموعة منها ثقافتها الخاصة • ولا تجمع بينهم جميعا أية نقط تعاني مشترك الا الديانة اليهودية • والفكرة الصهيونية الملتزمة بجمع يهود الشتات من مواطنهم فيما يسمى بالأرض التاريخية •

واذا كان من الصعب على الانثربولوجي أن يدرس جماعة تتكون من " خليط من الشتات " (٣) فانه أمل خادع أن نبحث عن شخصية اسرائيلية • بعد ربع قرن من انشاء دولة اسرائيل بجانب انتقاد الثقافة المشتركة المتوارثة بينهم • نجد أن عنصر الاستمرار في التاريخ • وهو عنصر أساسي في تكوين الشخصية القومية • قصير جدا هذ دراسة الشخصية القومية الاسرائيلية • فالاسرائيليون الذين تجمعوا بفلسطين • هاجروا اليها من دول اشتراكية لها ثقافتها المميزة • التي تقوم على أسس اقتصادية اشتراكية أو هاجروا اليها من دول رأسمالية صناعية • أو من دول أسيوية وافريقية نامية أو متخلفة • كل دولة منها لها ثقافتها الخاصة التي تمايز ثقافة الدول الأخرى • نتيجة تباين الأنظمة الاقتصادية والسياسة واختلاف العقائد والأنظمة الاجتماعية • وتفاوت التقدم الحضاري • وحتى تصير تلك المتناقضات بين تلك الثقافات علينا أن ننتظر تبلور شخصية قومية اسرائيلية • تختفي منها المتناقضات الرأسمالية والاشتراكية التباين من الثقافات الغربية والشرقية • وتتبلور فيها عناصر ثقافية متجانسة متكاملة تكون الشخصية الاسرائيلية •

وقبل أن ننتهي من عرض موقف بعض الانثربولوجيين وعلماء الاجتماع من الشخصية القومية •

وبعد أوجه الاختلاف والتباين والاتفاق بينهم • ينبغي أن نعرض قضية هامة شائكة تشغل كل تقدير وتفسد كل تفسير ملائم للشخصية القومية • بل تعد هذه القضية هي أس الأخطاء جميعا في دراسات الشخصية القومية •

I- Gischerg: Re aran and unsearon in Sovety. opcit

I- Haris marrivia. the Rise An, biopological theory piunting N.Y. Thomes Cnowell can I957.

3- Farler ve. the piâbleun Natime hareeter. op cit

ابراهيم البحراوي أضواء على الادب الصهيوني - القاهرة - دار الهلال • كتاب الهلال العدد ٢٥٧ ١٩٧٢ •

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد اعتبرت مرجريت ميد الشخصية القومية حالة خاصة من بحث الثقافة والشخصية وبينت أن تضمين العمليات النفسية الداخلية عند وصف أعضاء المجتمع هو ما يميز بحث الثقافة والشخصية ٠ ومن الضروري لنا أن نستخدم الأبنية النفسية باعتبارها تصورات أساسية عند دراسة الشخصية القومية في المجتمعات المعقدة أن تعذرت الدراسة الميدانية ٠ وهي ترى أن الانثربولوجيين ٠ في مثل هذه الدراسة يجددون ٠ يعتمدون على فروع جديدة في الدراسة الانثربولوجية لم يعرفه الانثربولوجيين التقليديون ولا النفسيون الرواد معرفة شاملة (١) ٠

وفي الحقيقة ٠ فهذا الاتجاه في تفسير الشخصية القومية ٠ باعتبارها فرعا من دراسة الشخصية والثقافة ٠ لم يجد قبولا عند الاجتماعيين ٠ فقد عارضه جورر في الأربعينات من هذا القرن ٠ اذ يرى دراسة الشخصية القومية أهم من دراسة الثقافة ٠ فيقسم أن الثقافة تحدد أساليب اشباع الحاجات البيولوجية ٠ وتسيطر على طريقة التعبير عن العواطف الكامنة بين أعضاء المجتمع ٠ فالثقافة هي التي تحدد طريقة التعبير عن الحب والحقد القلق والطمأنينة ٠ والشعور بالعنف أو الخجل وتقدير الذات أو احتقارها فيجد أن دراسة الشخصية القومية أمل وأوسع نطاقا اذ لا يوجد جانب من جوانب الحياة الاجتماعية لا يقدم لنا معلومات عن الدوافع المشتركة لأعضاء المجتمع فلكل نشاط عناصره العاطفية والوظيفية وتكشف لنا مظاهر الاختلاف في التعبير عن التوترات أو الاسترخاء أو التعبير عن الفرح والخصام والانضباط أو الاهمال كلها تكشف عناصرها العاطفية والوظيفية ٠ فالمزاح أو الاهانة والأمثال المتداولة وأسباب المنازعات وطرق الوفاق ٠ والقصص الشائعة كلها مرنة ٠ وتقدم لنا مفاتيح موثوق فيها عن دراسة الشخصية القومية ٠ مثلما نجد هذه المفاتيح في بناء العمل وجماعات اللعب واستعادة الأساليب التكنولوجية ٠ وحتى أوضاع الجلسات الطبيعية ٠

ولم يجد اتجاه أنصار فهم بحث الشخصية القومية الى دراسات الثقافة والشخصية أنصارا لهما ٠ بل رأى البعض أن هذا الربط يؤدي الى نتائج وخيمة على دراسات الشخصية القومية ٠ وقادها الى استعمال غير ملائم وغير مثمر للثقافة والشخصية معا ٠ بل ان اتجاه الثقافة والشخصية وصل به الأمر في النهاية أن يبعد تماما عن دراسة الشخصية ٠ كما

---

(١) Mead: National character op cit. P 644.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

انصرف كلية عن دراسة الثقافة . ولم تعد هذه الدراسات تعبر الا عن اسم الثقافة والشخصية فقط ، فلا تنتمي الى الثقافة ، ولا ترتبط بدراسات الشخصية . أن الخط الأساسي المميز لدراسة الشخصية القومية ، هو أن الشخصية القومية تشير الى حكم الدولة ، وكيف أن هذا يؤثر أما على سمات الشخصية القومية بمفهوم جينزبرج أو الدوافع المشتركة بمفهوم جورر ، أو توجيهات القيم ، بينما يطلق مصطلح الثقافة والشخصية أساس على دراسة الجماعة على أية مستوى .

كذلك عارض بعض الانثربولوجيين هذا التداخل بين مبحث الشخصية القومية ومبحث الثقافة الشخصية ، فهناك من يرى أن افتراضنا عام لشخصية جماعة من الناس استنادا الى معرفتنا بالرموز الثقافية والاساليب ، التي تقبلها الجماعة ، امر يثير الاعتراض لما يحتويه من وجود عوامل ذاتية في النظرية الاجتماعية (١) ، كما أن استفادة الانثربولوجيا الثقافية بقضايا وأساليب علم النفس التحليلي ، لن يساعد على تقدم الانسانية اذ أن تطبيق مفاهيم فرويد على العمليات الاقتصادية والسياسية أمر مغالى فيه ، بل وأمر مرفوض . فمن العسير أن نربط بين سمات الشخصية الانطوائية أو العصاب أو المزاج أو الفصام أو التسلط أو الانقيادية وبين النظم الاقتصادية والسياسية بيد أن هذا الرفض من بعض الانثربولوجيين والاجتماعيين لامكان التلاحم والتفاعل بين الثقافة والشخصية وتكوين الشخصية القومية ، موضوع يعبر تخلف الدراسات الانسانية ، فالالتحام بين الدراسات أصبح أمرا واقعيا وأدى الى اثراء العلوم الانسانية كلها ، ونتجت عنه نتائج جديدة كانت مجهولة عندما كان كل علم منغلق على ذاته ، لا يستفيد من نتائج وأساليب العلوم الأخرى ، ويرى سبيث أن أعطاء اهتمام للمفهوم النفسي أي للشخصية دون اعطاء اهتمام مماثل للنظم الاجتماعية ، أدى الى تحديدات ونقاط ضعف كبيرة نلاحظها في دراسات الشخصية القومية ، أهمها القصور الملحوظ للاتجانس وعدم الاستقرار الذي يعبر عن الخصائص النفسية للشعوب .

نقطة أخيرة نهتم بها توضيح مدى العلاقة بين الشخصية القومية وبحث الثقافة والشخصية ، وهذه النقطة هي أنه ثمة فرق بين معنى الشخصية في اتجاه الثقافة والشخصية وبين معنى الشخصية القومية ، ففي الاتجاه الأول ندرس الشخصية بمعنى

I- Heina. P : the probleur of pesson olity irao ciolog-ical theary. op cit.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

نموذج تصوري ، يعبر عن وحدة أخرى تخضع للدراسة ، هي شخصية الدولة ، وهي تدرس في معناها النفسي بمعنى كل منظم بناء خاص متوافق ومترابطة ، أما الاتجاه الآخر (الشخصية القومية) فيدرس الشخصية باعتبارها نموذجا لشخصية الأمة بنشد دائما بخلاف شخصية الفرد ، ولكن على نطاق الأمة والدولة ، وهي تدرس باعتبارها نسقا نفسيا يتفاعل مع النسق الاجتماعي والثقافة ، لا تردأو تختزل في نسق الدولة .

بعد هذه الاطلالة على تراث الشخصية القومية ، نتساءل اذن تدرس الشخصية القومية من السهل علينا في البداية أن نقول أن نوضوع الشخصية القومية . (هذا الموضوع) من الموضوعات الموجهة في الدراسات السلوكية ، والتي تتفق عليه الحكومة الأموال الضخمة ، ونحن عندما نهتم بدراسة الشخصيات القومية ، لا نبغي من ذلك الاعداد لحملة غزوة عسكرية ، لدولة أخرى ، فليس من خصائص المصريين الغزو والعدوان ، وأن كان العكس هو الصحيح ، اذ كانت مصر دائما محور اهتمام الغزاة . ولكننا نهتم بدراسة الشخصية القومية المصرية لنعرف أن كنا ، وكيف أصبحنا . لنعرف عاداتنا واتجاهاتنا وقيمنا والدوافع الايجابية منها والسلبية لتدعيم الايجاب ، وتغيير من السلبية . لنعبر مرحلة التخلف ، ونزيل معوقات التنمية ، ونتجنب التفسيرات الناقصة الخاطئة لميول شعبنا ، والتي تعثر خطوات نحو التقدم . فمثلا نعرف لماذا نوصف بأننا بيتيون ، نحب الاستقرار ، لماذا قبل المصري الحياة على ضفتي النهر وترك الصحراء الغربية شرق النيل خالية دون استغلال ، وترك معظم سيناء صفراء ، وعندما فكر في التحرك من أماكن استقراره ، ترك مصر سعيا وراء الرزق الى بلدان أخرى نحن نهدف من هذه الدراسة أن نعرف أنفسنا ، ونفهم خصائص سلوكنا ، التي قد تعوق كل خطة تنمية ، وكل ذلك من أجل رسم سياسة اجتماعية ، تشعر مصر من عثرتها وتحقق سيادة الانسان المصري .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com